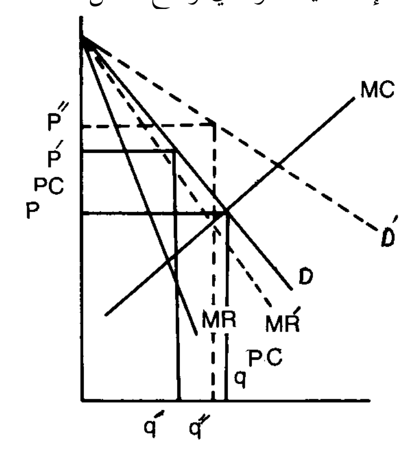
نقد بحث مختار متولي:

نموذج سلوكي لمنشأة إسلامية

جدة: المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، البحث رقم (١٢) من سلسلة المطبوعات بالعربية
ترجمة عبد الله محمد القسام، ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، ٢٥ ص.

أولاً: في اعتقادي أن الخطأ الرئيسي الذي يقع فيه الباحث هنا والذي ربما كان غير متعمد هو أنه يقارن بين وضعية مؤسسة في غير حالة المنافسة الكاملة، وهذا واضح من شرط MR = MC أو الإيراد الحدي = التكلفة الحدية، يقارن هذه المؤسسة مع مؤسسة أخرى، "إسلامية هنا" في غير حالة المنافسة الكاملة ولنفس السبب أيضًا $\frac{\partial C}{\partial q} = \frac{\partial R}{\partial q} \leftarrow MR = MC$ وبالنتيجة فإن أي مصاريف إضافية للمؤسسة الإسلامية "الصدقة هنا" يفترض الباحث أنه يمكن للمؤسسة إضافتها إلى السعر. وطبعًا من غير الممكن توقع مثل هذا التصرف من مؤسسة أخرى في حالة المنافسة الكاملة حيث أنه من غير الممكن زيادة السعر $\partial P/\partial G$ كما يتوقع الكاتب. إضافة إلى ذلك فإن المجتمع هذا يدفع باليد اليمنى "في صورة زيادة السعر التي يقترحها الكاتب" ما يأخذه باليد اليسرى "زكاة وصدقات" أي أن المؤسسة لا تقدم عملاً خيريًا "لوجه الله".

والشكل التالي مأخوذ من ص ١٦ من بحث الكاتب المترجم حيث يقول أن السعر "P والكمية "q التي تستطيع المؤسسة الإسلامية تحقيقهما، هما أعلى من 'p و 'q المتحققين للمؤسسة الرأسمالية وبالتالي فإن المؤسسة الإسلامية تكون في وضع أفضل.



طبعًا هذا صحيح ولكن هل السعر المرتفع هو أفضل أيضًا بالنسبة للمجتمع؟ بإمكاننا الحصول على وضع أفضل إذا نظرنا إلى حالة المؤسسة التي تعيش في ظل المنافسة الكاملة. ففي هذه الحالة يكون السعر P^{PC} أقل من P' و P'' وهذا أفضل للمجتمع وتكون الكمية المنتجة q^{PC} أعلى من q' و q'' التي تستطيع المؤسسة تحقيقها في ظل عدم المنافسة الكاملة، والكمية المذكورة q^{PC} لن تستطيع الأخيرة تحقيقها إلا إذا ارتفع السعر ارتفاعًا كبيرًا جدًا.

ثانيًا: في صفحة ١٨ يذكر الباحث أن المنشأة يجب أن تتجنب خطط السوق التي تؤدي إلى الاحتكار بينما هو يستخدم أنموذجًا لمنشأة يمكنها الاحتكار (في هذه الحالة رفع السعر حسبما يحلو لها). وكما قلت سابقًا فإن المنشأة هنا لا تقوم بعمل خيري (زيادة في الصدقات) لوجه الله، لأنها تأخذ باليد اليمنى مباشرة ما تدفعه كصدقة باليد اليسرى وذلك عن طريق رفع السعر.

ونتيجة لذلك كله نستطيع القول أن الباحث لم يفلح في تقديم نموذج سلوكي للمنشأة الاقتصادية الإسلامية. وربما يكون السبب افتراضه الصدقة جزءًا من المصاريف التي يجب أن تغطى أو اعتماده نموذج المنشأة التي تكون في غير حالة المنافسة الكاملة أو الاحتكار. وهذا ربما يكون راجعًا لقصر بحثه على الجوانب التقليدية التي يركز عليها الاقتصاديون الغربيون في بحوثهم.

ثالثًا: ربما كان بالإمكان تقديم هذا النموذج السلوكي للمنشأة الاقتصادية الإسلامية وذلك بالاعتماد على عوامل أخرى مثل:

التأثير الروحي والنفسي: وأثر ذلك على العامل من ناحية وعلى رب العمل من ناحية أخرى. فالعامل مستقر نفسيًا من جهة بسبب إيمانه. وهو يخاف ربه فيحاول بكافة الوسائل تقليص المصاريف مثلاً ولا يحاول عمل أي شيء فيه ضرر للمؤسسة. إضافة إلى المحيط الإسلامي والعوامل الأخرى التي تحث على احترام العمل وإعطائه حقه كما في قول رسول الله ﷺ "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه". كما أن رب العمل يحس بنفس الشعور أيضًا. فهو مستعد مثلاً أن ينفق من عنده كيما ينقذ العامل من أي ضائقة تصادفه، كما أنه لن يظلمه حقه. وقضية حقوق الناس من أهم القضايا التي يتبناها الإسلام ويدين من يظلم الناس ومن يأكل حقوقهم أكثر من إدانته لأغلبية الأعمال المحرمة الأخرى.

هناك أيضًا جو المحبة والوئام والتعاون الذي يسود المجتمع الإسلامي كما تسود روح "فريق العمل" (Team Work) حيث يخفف الحزازات ويزيد جو الألفة والترابط.. ويؤدي إلى تقليص المصاريف وزيادة الإنتاج وفي أغلب الحالات إلى تخفيض الأسعار وليس كما يذكر الباحث إلى زيادتها. ولتوضيح ذلك أقول أن العوامل النفسية من راحة واستقرار وتعاون وغيرها تؤثر على الإنتاج بدرجة تفوق أضعاف أضعاف ما تؤديه العوامل الأخرى مثل التي تهدف إلى تقليص درجات الاحتكار مثلاً. (Antitrust Laws)[١]

ولتوضيح دور المجموعة المتآلفة في العمل من المفيد أن نأتي على ذكر طبيعة العمل داخل الشركات والمؤسسات اليابانية.

أ- هناك ارتباط شديد بين العامل أو الموظف وبين الشركة فهو غالبًا ما يرتبط بها طول فترة عمره الوظيفي ويدافع عن اسمها وشهرتها تمامًا كما يدافع عن الفريق الرياضي الذي يشجعه.

ب- طبيعة العمل هناك هي العمل ضمن فريق متكامل ومعروف كم هو ضروري توفر جو الألفة والتعاون والتعاطف داخل الفريق كي ينتج.

كل ما سبق قوله يوضح لنا مدى الحاجة إلى تقويم سلوكي للمنشأة الاقتصادية (إسلامية وغير إسلامية) لأن النظريات في الاقتصاد الجزئي (Microeconomics) لا تقدم لنا نتائج يمكن تطبيقها أو مشاهدتها في الحياة العملية بصورة مرضية[٢].

كمال يوسف

دبي – دولة الإمارات العربية

---

(١) للتفصيل راجع .Harvey, Leibenstein, Beyond Economic Man

(٢) راجع كتابًا جديدًا لاقتصادي من معهد ماساشوستس للتكنولوجيا:
Lester Thurow, Dangerous Currents.